مجلة الاستيعاب
Issn : 2661-7625 Eissn : 2773-3947
المجلد الرابع العدد الأول ص 147ـ 170

خلفيات نقد جورج طرابيشي لمشروع محمد عابد الجابري
(الأسباب والدوافع)

(The Backgrounds of Tarabishi's Critique to Mohamed Abed Al-Jaberi's Project(Motives and Causes)

أحمد لشعل [1] **هنية شويرب** [2]

[1] جامعة عمار ثليجي بالأغواط (الجزائر)، a.lachaal@lagh-univ.dz

[2] جامعة عمار ثليجي بالأغواط (الجزائر)، h.chouireb@lagh-univ.dz

تاريخ الاستلام: ../../202 تاريخ القبول: ../../202 تاريخ النشر: ../../202

ملخص:

يعالج موضوع هذه الدراسة إشكالية من أهم إشكاليات الفكر العربي المعاصر، المتعلقة أساسا بنقد النقد وتحديدا في نقد جورج طرابيشي لمشروع محمد عابد الجابري ضمن سلسلة نقدية كاملة حملت عنوان (نقد نقد العقل العربي)، وقد حاولنا معالجة هذه الإشكالية من خلال الكشف عن خفايا وخبايا هجوم طرابيشي على مشروع ناقد العقل العربي، فعمدنا على إبراز الدوافع الذاتية، وكذا الموضوعية من هذا الهجوم، لنختم هذه الدراسة بعرض أهم الانتقادات التي قدمها هذا الأخير لنقض مشروع الجابري، انطلاقا من فهم دوائر وحدود هذا النقد، وخلصنا في النهاية إلى أن مشروع جورج طرابيشي يعد في جوهره نقض للأسس الابستمولوجية التي يقوم عليها مشروع الجابري، ومن ثم نقض أهم النتائج التي انتهى إليها،وبالتالي فمشروع الجابري- حسبه- لم يتمخض رغم ضخامة العنوان إلا عن مشروع مجهض.

كلمات مفتاحية: نقد - عقل – تراث – ثقافة

Abstract
This study deals with one of the most important and problematic issues in the contemporary Arab thought, which is related to criticizing the critique, especially in George Tarabishi' critique of Mohamed Abed Al-*Jaberi ina*full critical series entitled Critique of Jaberi's Critique of Arab Reason. We attempted to treat this issue by exploring the covered and hidden facts about Tarabishi's attack on the project of criticizing the Arab reason. So, we aimed to accentuate the subjective and objective motives behind this attack. This study is concluded by showing the most important critique that was presented by Tarabishi to debunk Al-Jaberi's project starting from understanding the circles and limits of this critique. Eventually, it was deduced that Tarabishi's project is basically a refutation of the epistemological basics that constitute Al-Jaberi's project, and then a refutation of the crucial results that he has found; therefore, Al-Jaberi's Projet –according to his critic- was an aborted one.
Keywords: Critique، reason ، heritage، Culture،

تصنيفات JEL : ....، ....، ...(**وضع ترميز JEL إجباري**)

[1] أحمد لشعل، a.lachaal@lagh-univ.dz [2] شويرب هنية، h.chouireb@lagh-univ.dz

1. مقدمة:

بالرغم من أن مشروع (نقد العقل العربي) لصاحبه مفكر المغربي "محمد عابد الجابري"، يعد على قائمة المشاريع الرئيسية الناضجة التي شهدتها سنوات النهضة الحديثة والمعاصرة إن لم نقل على رأسها جميعا، إلا أنه ولما يطرحه من قضايا معرفية جريئة ومثيرة للجدل قوبل بالمناقشة والنقد من طرف أنداده من المفكرين العرب أبرزهم المفكر السوري "جورج طرابيشي" الذي اشتغل بقراءته ونقده قرابة عقدين من الزمن.

ولمعرفة خلفيات تصدي"طرابيشي"لمشروع "الجابري" بالنقد والتفكيك، قمنا بتخصيص هذه الورقة البحثية للتعرف على شخصية ناقد النقد "جورج طرابيشي"، من خلال الكشف عن دوافعه الذاتية والموضوعية من نقد صاحب مشروع (نقد العقل العربي)، إلى ما يشبه ملاحظات أولية على أساليب الجابري في لي عنق

المتون التراثية بترا أو إغفالا، ومن وجهة نظر منهجية، هذا الدافع صار في المقبل من السنين معارضة بحثية عميقة للمباني التي تأسست عليها أفكار "الجابري" في مشروع كامل حمل عنوان (نقد نقد العقل العربي).

الإشكالية الرئيسية:

تتمحور إشكالية هذه الدراسة حول أسباب ودوافع نقد جورج طرابيشي لمشروع " محمد عابد الجابري" لذلك ارتأينا أن تطرح مشكلة بحثنا على النحو التالي:

– فيما تجلت أسباب ودوافع جورج طرابيشي من نقد مشروع محمد عابد الجابري؟

التساؤلات الفرعية :

– من هو المفكر جورج طرابيشي ؟ وماهي مرجعياته الفكرية والمنهجية؟

– وفيما تحددت دوافعه الذاتية والموضوعية من نقد مشروع محمد عابد الجابري ؟

– وما هي أهم النقاط التي انتقد فيها طرابيشي ناقد العقل العربي؟

أهمية الدراسة

نظرا لأهمية المشروع النقدي لكل من " عابد الجابري" و"جورج طرابيشي" ومكانة فكريهما داخل الساحة العربية المعاصرة، ارتأينا أن نقوم بهذه الدراسة للكشف عن أسباب ودوافع جورج طربيشي من نقد مشروع الجابري"، الذي خصه بسلسلة نقدية كاملة حملت عنوان (نقد نقد العقل العربي)، انطلاقا من فهم الأسباب والدوافع الذاتية والموضوعية التي كانت تقف وراء هذا النقد.

أهداف الدراسة

– التعرف من قريب على شخصية المفكر السوري جورج طرابيشي

– محاولة الكشف عن خلفيات هجوم طرابيشي على مشروع محمد عابد الجابري

– التعرف على الأساليب البرهانية والقواعد الاستدلالية التي استعان بها طرابيشي في نقده لمشروع الجابري.

2. المسار الفكري لجورج طرابيشي

1.2 سيرة حياة جورج طرابيشي

"جورج طرابيشي"«مفكر وكاتب وناقد ومترجم عربي سوري، من مواليد مدينة بنك حلب شمال سوريا عام (1939)يحمل الإجازة باللغة العربية والماجستير بالتربية من جامعة بنك: دمشق، عمل مديراً لإذاعة دمشق (1963-1964)، ورئيساً لتحرير مجلة "دراسات عربية" (1972-1984) ومحرراً رئيسياً لمجلة "الوحدة" (1984-1989)». (صحراوي فضيلة، زنزولة مليكة: 2016، ص48)

وقد مرّ "طرابيشي" على إيديولوجيات شتى، بدأت بالقومية ثم الماركسية لينتهي في الليبرالية،كما تنقل بين أماكن عدة،حيث «ولد في حلب ليرحل بعدها إلى لبنان التي لم يلبث أن انفجرت فيه حرب أهلية، فتركها ليستقر به المقام فرنسا متفرغا للكتابة والتأليف،ونهل "طرابيشي" من علوم مختلفة،حيث درس الفلسفة وعلم النفس واللغة العربية والتربية والأدب ومقارنة الأديان والتاريخ وتتابعت في حياته اهتمامات كثيرة، إذ بدأ ناقدا أدبيا ليستقر به المقام ناقدا عميقا لمشروع المفكر المغربي "محمد عبد الجابري" المتمثل في (نقد العقل العربي)». (حسن علي عمار،https://www.alarabiya.net ،2016) كما تميز بكثرة ترجماته ومؤلفاته، حيث أنهترجم « "لفرويد" و"هيغل" و"سارتر" و"برهييه" و"غارودي" و"سيمون دي بوفوار" وآخرين، وبلغت ترجماته ما يزيد عن مئتي كتاب في الفلسفة والإيديولوجيا والتحليل النفسي والرواية، وله مؤلفات هامة في الماركسية والنظرية القومية وفي النقد الأدبي للرواية العربية حيث كان سباقاً في اللغة العربية إلى تطبيق مناهج التحليل النفسي عليها».(طرابية أسعد رضوان مروان: 2013، ص39) وكانت وفاة جورج طرابيشي يوم 16 مارس 2016 في باريس عن عمر يناهز 77عام

2.2 أهم أعمال جورج طرابيشي

بعد مرحلة الترجمة التي أمضاها "طرابيشي" في بيروت بالتعاون مع دار الطليعة التي نشر فيها هذه الترجمات، بدأت مرحلة النقد الأدبي والفكري والإيديولوجي التي توّجها بعدد كبير من الكتب المهمّة منها:« "عقدة أوديب في الرواية العربية"(1982)و"لعبة الحلم والواقع: دراسة في أدب توفيق

الحكيم"(1972).و"الله في رحلة نجيب محفوظ(1973)" و"شرق وغرب، رجولة وأنوثة" (1977) و"الأدب من الداخل" (1978)و"رمزية المرأة في الرواية العربية" (1981)،و"الرجولة وإيديولوجيا الرجولة في الرواية العربية" (1983) و"أنثى ضد الأنوثة". (1984) دراسات في أدب نوال السعداوي ترجمت إلى الإنكليزية)». (حسن علي عمار،https://www.alarabiya.net ، 2016)

،كما ألف "طرابيشي" أربعة كتب صدرت عن دار الساقي في الرد على أغاليط "الجابري" وهي: « "نظرية العقل العربي: نقد نقد العقل العربي" (1996) و"إشكاليات العقل العربي: نقد نقد العقل العربي"(1998) و"وحدة العقل العربي: نقد نقد العقل العربي" (2002)"والعقل المستقيل في الإسلام: نقد نقد العقل العربي"(2004) ».(شحيد جمال: https://www.alaraby.com ، 2017)

ولقد دفعه الرد على الجابري إلى التعمق في المعرفة التراثية الإسلامية والمسيحية في آن واحد «فكتب عام"(1993)مذبحة التراث في الثقافة العربية المعاصرة" – "مصائر الفلسفة بين المسيحية والإسلام" (1998) – "من النهضة إلى الردة. تمزقات الثقافة العربية في عصر العولمة" (2000)"معجم الفلاسفة (2006)– و"هرطقات" في جزأين؛ كان الأول (2006) "عن الديمقراطية والعلمانية والحداثة والممانعة العربية" والثاني (2008) عن "العلمانية كإشكالية إسلامية" – المعجزة أوسبات العقل في الإسلام" (2008) –"من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث" (2016)».

(حسن علي عمار،https://www.alarabiya.net، 2016)

غيّب الموت المفكر والمترجم والباحث السوري "جورج طرابيشي"، تاركا وراءه إرثا كبيرا من الكتب المؤلفة والمترجمة التي أثرى بها المكتبة العربية على مدى نصف قرن،حيث غاص "طرابيشي" في ميادين متعددة من التأليف (فكرية وسياسية وأدبية)،وتضمنت مكتبته زهاء (220) كتاباً في مختلف المجالات، بحيث «ترجمحوالي ثلاثين كتابا"لفرويد"، وترجم عدة أعمال "لهيغل"، منها (المدخل إلى علم الجمال) و(الفن الرمزي الكلاسيكي)، وترجم "لهربرت ماركيوز"(الإنسان ذوالبعد الواحد)، أما الكتب الفرنسية الأصل التي ترجمها فعديدةمنها (تاريخ الفلسفة)"لإميل برهييه"و(الفوضى والعبقرية)"لجون بول سارتر"، و(واقع الفكر اليميني) "لسيمون دي بوفوار"». (بن سلامةرجاء: https://www.annahar.com ، 2016)

3.2 المرجعية الفكرية والمنهجية لجورج طرابيشي

ينقسم المسار الفكري عند "جورج طرابيشي" إلى مرحلتين أساسيتين، كل منها كان له مساره الخاص أيضا، ففي المرحلة الأولى تبنى الإيديولوجيات الغربية الحديثة من ماركسية إلى قومية، مع قطيعة تامة مع التراث، وفي الثانية اتجه إلى اكتشاف التراثعموما، وإلى نقد عمل "الجابري" خصوصا.

والمشروع الفلسفي عند "جورج طرابيشي" له ثلاثة جوانب؛ « الجانب الأول يعمل على نقل وترجمة عيون الفكر الغربي الحديث والمعاصر إلى العربية، والثاني يختص بنقد الفكر العربيالإسلامي الحديث والمعاصر، أما الجانب الثالث فمخصص للبحث في التراث معتمدا على تنفيذ عملية نقد واسعة لمشروع الدكتور محمد عابد الجابري المعنون (نقد العقل العربي)،فليس العمل الذي يقومبنقدهفي (نقدنقد العقل العربي)، سوى مناسبة لتأكيد موقفه الفلسفي والتعمق في البحث في التراث».

(أبو زيدسمير: ، http://www.arabphilosophers.com 2008)

كما أن "جورج طرابيشي"في مشروعه الضخم يعتمد على نوعين أومستويين للمناهج: الأول خاص بمعالجة المشكلات المعاصرة لقضايا النهضة والحداثة، والثاني خاص بقضايا التراث ومشروع (نقد نقد العقل العربي). وبالنسبة للقضايا المعاصرة يستخدم "طرابيشي" منهج التحليل النفسي من أجل نقد الواقع الفكري والثقافي العربية».(طرابيشي جورج http://www.arabphilosophers.com، 2006)

أما بالنسبة للتعامل مع التراث من خلال مشروع "نقد نقد العقل العربي"«فيستخدم المنهج التفكيكي من أجل إعادة النظر في الأسس المعرفية "الإبستيمولوجية" للنص الجابري، ثم منهجي الحفر الأركيولوجيوالنقد التاريخي من أجل الوصول إلى الأصول التراثية للمفاهيم والمقولات الواردة في هذا النص، ثم أخيرا منهج التركيب من أجل إعادة بناء هذه المفاهيم والمقولات في صورتها الصحيحة بناء على نتائج النقد».

(أبو زيدسمير: http://www.arabphilosophers.com 2008)

3. الدوافع الذاتية والموضوعية من نقد مشروع الجابري

1.3 الدوافع الذاتية

1.1.3 اتصافه بعقدة أوديب

بخصوص الدوافع الذاتية التي دعت "جورج طرابيشي"للاهتمام بالتراث أولا ومن ثم الهجوم على مشروع "محمد عابد الجابري" ثانيا، هو مروره – أي جورج طرابيشي– عبر محطات عديدة في طفولته طبعها فشل استمر معه إلى مرحلة متقدمة من سنه، وأول فشل صادفه في ولادته، اكتشافه أنه من أسرة عادية ليست " نبيلة ولا أميرية " كما كان يحلم، واعتبر هذا الحلم المبدد علامة على اتصافه *بعقدة أوديب«كان أول فشل لي في حياتي– يقول ناقد نقد العقل العربي – مولدي، فقد ولدت في أسرة عادية، وكنت أتساءل في أول خطواتي التفكيرية (وأنا طفل) لماذا لم أولد من أسرة نبيلة أوأميرية ثم اكتشفت بعد سنوات عديدةوأنا أطالع كتابات "سيغموند فرويد"، أن الأطفال الذين يحلمون بالولادة من أسرة وهمية أنبل من أسرتهم الفعلية، هم الأطفال المرشحون أكثر من غيرهم للتثبيت في العقدة الأوديبية ».

(طرابيشي جورج، https://mufakerhur.org ، 2016)

2.1.3 الفشل الذي صاحب محطات حياته

كما أنه فشل في حب اسمهكونه الابن البكر لوالديه سماه والده باسم جده تبعا لتقاليد العائلة حينها« أما إخوتي – يقول طرابيشي– فقد سموبأسماء عربية لا تدل على انتمائهم الديني أوالطائفي تزامنا مع انتشار الوعي القومي في سوريا».(طرابيشي جورج،https://mufakerhur.org 2016)

وفشل كذلك في أن يكون رياضيا محترفا في ميدان السباحة وكرة القدم والملاكمة، وأيضا في الفن والغناء ونظم الشعر وكتابة الرواية وفي أن يكون غنيا ليعبر عن ذلك بقوله:«فشلت في أن أكون رياضيا وشاعراً ولو ليوم واحد وفي أن أكون غنياكما فشلت في أن أكون روائياً، فما أكثر ما كتبت وما مزقت من مخطوطات ومشاريع روايات». (طرابيشي جورج،https://mufakerhur.org 2016)

3.1.3 فشل جيله في ثورته ضد إسرائيل (نكزة حزيران 1967)

ويذكر "طرابيشي" أن أكثر وأكبر فشل طبع نفسه وذاكرته بالحزن والأسى، فشل جيله في ثورته ضد إسرائيل عام (1967)، لكونه بذل الجهد انسياقا وراء ثورات تحررية تسببت في خيبة أمل ضاعفت من امتداد أفكار التطرف والعنف باسم الإسلام «فشلي الأكثر في حياتي-يقول –هو الهزيمة العربية (1967) ولكن هذا ليس فشلي بل هوفشل جيلي بأكمله إنه فشل الأمة، مما يرعبني أن أفكرمجرد التفكير بأن الحياة لن تمتد بي بما فيه الكفاية لأرى نهاية هذا الفشل».(طرابيشي جورج،/https://mufakerhur.org (2016

4.1.3 القطيعة التامة مع التراث

كذلك يصرح "طرابيشي" بأنه قد عاش قطيعة تامة مع التراث، فلم يكن التراث بالنسبة إليه أكثر من كتب صفراء فيقول: «لا بد أولا من الاعتراف بأن الجيل الذي أنتمي إليه، والذي أتى تالياً لجيلين نهضويين، فسميناه جيل الثورة [...] عشنا قطيعة تامة مع تراث، كنا ننظر إليه على أنه ليس أكثر من كتب صفراء، بعد ذلك أمام فشل "مشروعنا التحديثي" وخيبته إزاء فشل ثورتنا التي لم تنجح إلا في إحراقنا وإحراق نفسها ثم أمام السقوط المدويللأيديولوجيات خصوصاً أن ذلك كله تلى هزيمة عام (1967) ثم امتداد أفكار التطرف والعنف، باسم الإسلام » (طرابيشي جورج: 2012 http://www.arabphilosophers.com)

كما أن تفكيره بدأ يتجه إليه وهومقيم عند الغرب، وفي الخارج هناك اكتشف في التراث وطنا بديلا عن وطنه الذي غادره «والحال إن هذه القطيعة- يقول طرابيشي- بدت لعيني أكبر حين اضطرتني الحرب اللبنانية للرحيل إلى باريس هرباً من الاقتتال الطائفي في لبنان الذي كنت أقيم فيه عند ذاك، إزاء هذا كله راحت تتفاعل لديوعلى غير توقع منيعلاقتي مع التراث، إذ اكتشفت فيه بديلاً عن الوطن الذي غادرت».(أبو زيد سمير: http://www.arabphilosophers.com 2008)

5.1.3 الوعي بنقد الذات

واختمرت في وعيه فكرة أن التجديد يتحقق فقط بنقد الذات (العقل لا يكون عقلا إلا إذا كان نقديا) هذا ما استخلصه من إقامته في الغرب، يقرأ حضارته ويتعرف على عوامل نهضته«وفي المقابل – يقول طرابيشي– اكتشفت هنا في الغرب، أن هذا الغرب لم يبني نفسه إلا بقدر ما نقدنفسه، العقل الغربي صار متفوقاً وعالمي الحضارة حين مارس النقد الذاتي، أما نحن الذين لدينا موروث لا يقل أهمية أوحجماً عن الموروث الغربي، فإننا لن نستطيع أن نباشر مهمة التحديث والوصول إلى النهضة المرجوة، ما لم نقم بالعملية النقدية نفسها التي أخضع الغرب نفسه لها لن نستطيع أن نخوض معركة الحداثة ونحن عراة من النقد الحقيقي».(طرابيشي جورج: http://www.arabphilosophers.com 2016)

6.1.3 صدور مشروع الجابري ناقدا للتراث

وفي هذه المرحلة من إعادة النظر في الذات التراثية، يتفاجأ "طرابيشي" بصدور مشروع "الجابري" ناقدا للتراث،فيتتبع صدور أجزائه أملا أن يجد فيه نقيض ما عاشه في وطنه من تمزق واستلاب، لكنه يصدم مرة ثانية بما تضمنه مشروع "الجابري" من نفي للهوية وتعميق لفكرة الطائفية فكان ذلك بمثابة القطرة التي أفاضت الكأس، والتي راح بعدها يستجمع طاقته ليشن هجوما عنيفا على "الجابري" «ومن هنا يقول –طرابيشي– جاء اهتمامي بمشروع المفكر المغربي "محمد عابد الجابري" الذي كان أول من طرح فكرة (نقد العقل العربي)، راغباً لنفسه أن يكون إبستيمولوجياً (معرفياً) في نقدهمتكئاً على المناهج الحديثة، فلقد وجدت في مشروعه أول الأمر نقيضاً للمشروع الذي كنت عشت عليه غير أن رحلة إعجابي "بالجابري" لم تدم طويلاً[...] إذ شعرت بسرعة أن هذا المفكر أصاب العنوان لكنه أخطأ الهدف، أي أنه لم يقم بعملية النقد التي اعتقدناها، بل صادر عملية النقد في الوقت الذي كنا في أمس الحاجة إليها ».

(طرابيشي جورج: http://www.arabphilosophers.com 2017)

2.3 الدوافع الموضوعية

3-2-1 تأصيل الجابري النظري للعقل العربي

يحاور طرابيشي في الجزء الأول من كتابه (نظرية العقل) مشروع "محمد عابد الجابري" في مجموعة من العناوين «ليبدأ بمناقشة التأصيل النظري الذي يضعه "الجابري" للعقل، ذلك لأن جزءً من الشهرة التي حازتها كتابات "الجابري"، في جزء منها تعود إلى توظيفه مفهوم العقل كما هو كذلك». (عيد عبد الرزاق: http://www.rabitat-alwaha.net 2007) وهنا يشير الباحث إلى أن استخدام مصطلح "العقل العربي" نفسه ليس من اختراع "الجابري" فقد سبقه في ذلك "زكي نجيب محمود"(1977)، "وأحمد موسى سالم" الذي رد بكتاب على "زكي نجيب محمود" سنة (1980) « ومع أن تعبير" العقل العربي نفسه –يقول " طرابيشي – ليس من اختراع " الجابري": فقد سبقه إلى استعماله مثلا " زكي نجيب محمود " في مقال له تحت عنوان (العقل العربي يتدهور)، بل مع أن الجابري لم يكن سباقا حتى إلى توظيف ذلك التعبير كعنوان: فقد تقدمه في هذا المضمار أحمد موسى سالم، مثلا عندما تصدى للرد من وجهة نظر إسلاموية على صاحب مقال (العقل العربي يتدهور) بكتاب بتمامه جعل عنوانه (العقل العربي ومنهاج التفكير الإسلامي ». (طرابيشي جورج، 1996، ص11)

وبهذا يخلص "طرابيشي" إلى أن« استعارة "الجابري" لهذا المفهوم من تمييز "لالاند" للعقل المكوِّن (بكسر الواو) والعقل المكوَّن (بفتح الواو)، ضمن للفيلسوف الفرنسي شهرة عربية متأخرة، لكنه مع ذلك يشكك بدرجة استناد الجابري إلى "لالاند"، إذ يرى أن "الجابري" استند إلى معجم الفلسفة "لفوكييه" للتعرف على لالاند، ليخلص إلى أن الجابري لم يتعرف إلى نظرية لالاند في مصدرها الأصلي، أي كتاب (العقل والمعايير)». (عيد عبد الرزاق: http://www.rabitat-alwaha.net 2007)

ويرى "طرابيشي" أن تعريف العقل المكوَّن (بفتح الواو) الذي قدمه "الجابري"« لا وجود له لدى لالاند لا في كتاباته إجمالا ولا في كتابه (العقل والمعايير) حصرا، وإنما صاحب هذا التعريف هو"بول فوكييه" مؤلف معجم الفلسفة ».(طرابيشي جورج، 1996، ص14) فترجمة "الجابري"– حسبه–

تشكومن بعض الاضطراب بل إنها زادت المعنى التباسا، كما أن لفظ العقل العربي قد دل ضمنيا على وجود عقول أخرى « ومن جهة أخرى نجد ناقد نقد العقل العربي في صدد مناقشة إحالات "الجابري" إلى كتاب (الفكر الوحشي)"ليفي شتراوس" فإنه يسعى للبرهنة على أن "الجابري" لم يقرأ "شتراوس" أيضا، بل اعتمد على مصادر ثانية (معجم كوفييه)». (عيد عبد الرزاق: http://www.rabitat-alwaha.net 2007) . كما أن "الجابري" قد فوت على نفسه- حسب طرابيشي- فرصة قراءة وحدوية وجدلية معا للعقل « وذلك عندما لم ينتبه إلى الوظيفة النقدية للعقل المكّون-يقول طرابيشي -بوصفه عقل"استحداث أزمات" على حد تعبير "باشلار"، أي بوصفه "حركية موجهة" نحوالتقدم لتجاوز العقل المكوَّن الذي ينبغي أن ينتفض ضد ذاته بوصفه مطلقا ».(طرابيشي جورج، 1996، ص19)

يعرض "جورج طرابيشي" مجموعة من المفاهيم التي يتداولها خطاب "الجابري" لينفي مصداقية مرجعيتها مثل تعريف (النظام المعرفي في ثقافة ما هو بنيتها اللاشعورية) حيث يرى "جورج" أن هذا التعريف الذي يدعي "الجابري" استيحاءه من فوكو، إنما هو نقيض للدينامية الإبستيمية الفوكوية».(عيد عبد الرزاق: http://www.rabitat-alwaha.net 2007) "فالجابري" - حسب ناقده - يدعي أنه يستوحي على صعيد التعريف "ميشال فوكو" رغم غياب هذا المفهوم لديه كون الإبستيمية الجابرية لا تمت بصلة إلى الإبستيمية الفوكوية «فباستثناء الاشتراك في الإسم – يقول طرابيشي - [...] فإن الإبستيمية الجابرية لا تمت بصلة إلى الإبستيمية الفوكوية، بل تناقضها نقضا عنيفا إلى حد يصح الحديث لا عن (حذوالنعل بالنعل) بل عن (حذوالنعل بعكس النعل)». (طرابيشي جورج:1998ص 280) ويرى "طرابيشي" أن الإبستيمية الجابرية تتنكر لدينامية الإبستيميةالفوكوية لتقرأ تاريخ الثقافة العربية قراءة لاتاريخية، قراءة سكون وركود،ويشير كذلك إلى أن"الجابري" ينقل الإبستيميةالفوكوية من وظيفتها الوحدوية إلى وظيفة تشطيرية،يقول في ذلك:« فإذا كان من الممكن حد الإبستيميةالفوكوية بأنها أداة منهجية لتمييز الحقب الثقافية ولتوحيدها معا، فإن الإبستيمية الجابرية، التي لاتدين للأولى إلا باسمها تجهل مبدئي التمييز والتوحيد معا[...]. (طرابيشي جورج:1998ص 281-283) ليخلص إلى أن "فوكو"لم يستخدم تعبير (البنية اللاشعورية) «إذ أن هذا التعبير يعود إلى "كلود ليفي ستراوس"، لكن

"الجابري" يستخدمه بالعكس أيضا، كون مصطلح اللاشعور عند "ستراوس" يتداول في مجالالأنتروبولوجيا حيث تناول ثقافات (الشعوب البدائية الثقافة الشفهية)، بينما تاريخ المجتمعات الكتابية يرصدها المؤرخ من خلال التعابير الواعية، في حين أن الجابري أحل ما هو إثنولوجي (رصد الشروط اللاواعية للحياة الاجتماعية) محل الابستيمولوجي الذي يصدر تاريخ الوعي للمجتمعات العربية الإسلامية. (عيد عبد الرزاق: http://www.rabitat-alwaha.net 2007)

وقد سعى للكشف عن حقيقة مديونية ناقد العقل المزعومة –بحسبه– مؤاخذا إياه « توظيفه لمفهوم (اللاشعور المعرفي) المنسوبة أبوته إلى "جان بياجيه" بالمضادة التامة من منظومة الأطروحات التي صنعت الشهرة العامية لمؤسسة السيكولوجيا والإبستمولوجيا التكوينيتين،ليتهمه بأنه لم يقرأ "بياجيه" قط، بل أن جهله "بياجيه" يصفه بالفضيحة المعرفية» (عيد عبد الرزاق: http://www.rabitat-alwaha.net 2007) « فقد وجدنا "بياجيه"– يقول طرابيشي – لا يرفض فكرة (مفاهيم لا شعورية) فحسب، بل يجعل أيضا من المفاهيم عنوان الفكر الواعي». (طرابيشي جورج:1998ص 307)

3-2-2 توظيف الجابري المركزي الاثني لنظرية الحضارات

يقدم "طرابيشى" بحثا مطولا حول التوظيف المركزي الاثني لنظرية الحضارات الثلاث (اليونانية والعربية والأوروبية الحديثة) الذي أقامه الجابري، بحكم أن هذه الحضارات الثلاثة «هي وحدها التي أنتجت ليس فقط العلم بل أيضا نظريات في العلم، وكونها وحدها التي مارست ليس فقط (التفكير بالعقل) بل أيضا (التفكير في العقل) بالشكل الذي سمح بقيام معرفة علمية أوفلسفية أوتشريعية منفصلة عن الأسطورة والخرافة، وبالمقابل ينكر "الجابري" على شعوب الحضارات القديمة (مصر والهند وبابل وغيرها) أن تكون (فكرت بالعقل)، فضلا عن أن تكون (فكرت في العقل)». (طرابيشي جورج، 1996، ص26)

فتظهر إمبريالية الجابري – حسب ناقده جورج طرابيشي–«في إقصائه لفكر الحضارات الأخرى ودمغه الفكر الآسيوي القديم بأنه فكر قائم على الخرافة الأسطورة والشعوذة، فهويستبطن نظرية "هيجل" ويعيد تسويقها بصياغة أخرى أكثرحدية وإمبريالية عن إمبريالية "هيجل" نفسهالذي جعل أوروبا في رأس سلم التاريخ الكوني عندما قرر أن يحدث تمايزا هرميا يفضي بأن هناك أوروبا اليونانية وأوروبا الحديثة وأوروبا

الجرمانية» (اليعقابي محمد: http://www.matarmatar.net 2008) إلا أن هيجل –حسب طرابيشي–«إذ ينكر على الأسيويين التفكير في العقل، فإنه لم ينكر عليهم التفكير بالعقل، وإن اعتبر أن التاريخ الوحيد الحقيقي هوتاريخ الفلسفة – أي تاريخ العقل في التاريخ – فإنه لم يخرج الآسيويين إخراجا نهائيا من هذا التاريخكما فعله "الجابري في توظيفه المركزي الاثني"».(طرابيشي جورج، 1996 ص 33) وفي ظل تلك المتناقضات«اتهم "طرابيشي" تغييب "الجابري" لحضارة شرقية قديمة مستقلة لم تختلف في نمط تفكيرها عن اليونان وغيرها من الحضارات الثلاث، من حيث أنها كانت تمارس التفكير بالعقل وفي العقل،هي الحضارة الهندية التي مارست التفكير الفلسفي والمنطقي مثلما هوالحال عند اليونان».(يحيى محمد:2009، ص 79) «فإن الحضارة الهندية – يقول طرابيشي –تحتل مكانها في التاريخ المقارن بوصفها حضارة معارف علمية، ندين لها بنظام العد على أساس تسعة أرقام وصفر، وبإنجازات عديدة وهامة في علم الفلك ومبادئ أولية من تلك التقنية الرياضية المسماة بالجبر [...] وكذلك كان للهنود علم بالطب وموهبة في التفكير الرياضي المجرد، ولكن ما ينفردون به هوجهدهم المبكر للغاية في التفكير اللغوي الذي يتطلب قدرة عالية على التجريد المنطقي، فعلم اللغة [...] قد يقوم بذاته مقام المنطق ». (طرابيشي جورج، 1996 ص 42-43)

كما ارتكب"الجابري" –حسب طرابيشي – ظلماً وإجحافا بحق الحضارتين المصرية والبابلية اللتين أدرجهما بلا تردد في عداد الحضارات التي لم تنتج المعرفة العلمية والفلسفية المنظمة للعقلنة متناسيا الرؤى العقلية والعلمية التي أنتجها البابليون والمتعلقة بالحساب والفلك، بل أن اليونانيين يدينون بمعارفهم إلى حضارات العالم الشرقي القديم«أننا نكون – يقول طرابيشي–على وفاق مع معارفنا الراهنة، إذ قلنا أن اليونان يدينون للحضارات السابقة ليس فقط بالتقنيات، بل كذلك بكتلة كبيرة من المعارف العلمية ». (طرابيشي جورج، 1996، ص37) وبالمقابل راح "طرابيشي" يتبع مظاهر اللامعقول في الحضارة اليونانية كون الفكر اليوناني نفسه لم يكن خاليا من الخرافة والأساطير من (رقى وتعاويذ وعرافة وطقوس السحر..) لينفي ما أسماه بالرؤية المركزية التي ينتجها "الجابري" عن اليونانيين "" يقول "طرابيشي" مستشهدا بمقولة أحد الاختصاصيين في ديانة الإغريق أنه « إذا كان هذا هوواقع الحال في أثينا حيث لم يكن الإيمان

بالقدرة السحرية للرقى والتعاويذ وفقا على عامة الشعب، بل شاملا أيضا للمجتمع الراقي فلنا أن نتصور مدى انتشار مثل تلك الاعتقادات في أمصار اليونان النائية ». (طرابيشي جورج، 1996، ص 47)

3-2-3 هجاء الجابري للعقل العربي

لا يفوت "طرابيشي" أن يتوقف طويلا عند المصادرة الإبستمولوجية الكبرى التي يبني عليها "الجابري" مشروعه في (نقد العقل العربي)، ألا وهي وحدة الهوية بين العقلين اليوناني والغربي وضديتهما مع العقل العربي، فقد اتهم (ناقد النقد)"الجابري" « بأنه يقوم بعملية هجاء واحتقار للعقل العربي، في مقابل العقلين اليوناني والأوروبي الذين كال لهما المديح الكامل، وقد انطلق الناقد في اتهامه هذا من التضاد الذي أبداه الجابري " بين العقل العربي من جهة والعقلين اليوناني والأوروبي من جهة ثانية خاصة وأن هذا الأخير يوحد في ماهية العقلين الأخيرين».(يحي محمد:2009، ص 79)

والحال أن المركزية الاثنية الأوروبية –حسب طرابيشي- تعيد إنتاج نفسها بقلم "الجابري" الذي يتبنى بدون محاكمة تاريخية أونقدية، أسطورتها الأولى والأخطر بإطلاق والقائلة باستمرارية غربية تاريخية وجغرافية بين العقلين اليوناني القديم والأوروبي الحديث، وبعد أن استبعد الشرق كله من دائرة العقل حصر هذا العقل في حيز جغرافي باسم الغرب يقول طرابيشي:«والجابري عندما يضع العقل العربي في موقع الضدية الماهوية مع العقلين اليوناني والأوروبي الحديث، وعندما يوحد العقلين تحت اسم "العقل الغربي"، وبالمضادة مع العقل العربي، فإنما يكرس عملية المصادرة اللامشروعة والتغريب القسري للتراث اليوناني الذي يبدوو كأن الصراع على ملكيته يشكل بندا رئيسيا في مشروع الحداثة الغربية لبناء هويتها على أساس من العمق الحضاري». (طرابيشي جورج، 1996، ص 122)

كماأنه – أي طرابيشي- «يحذر من إسقاطات المركزية الغربية الحديثة على العصور القديمة، بما فيه التقسيم الجغرافي: (غرب/شرق) ويفضل الكلام في ما يتعلق بالعالم القديم، عن دائرة حضارية ذات اتصالية جغرافية واضحة تتطابق إلى حد كبير مع ما نسميه اليوم بالحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، وتشمل اليونان الكبرى والصغرى وآسيا الصغرى وسوريا وما بين النهرين ووادي النيل والقسم الشرقي من شمال إفريقيا». (عيد عبد الرزاق: http://www.rabitat-alwaha.net 2007)

ويطلق "طرابيشي" على هذه الدائرة الحضارية اسم "الدائرة الآرسامية"(آرية سامية)،هذه المنطقة شهدت – حسبه– ازدواجية لغوية « إذ أضحت اليونانية– يقول طرابيشي– في صيغتها الكونيةالمشتركة هي لغة الكتابة والثقافة العالمة لا في أثينا وحدها،بل كذلك في "الإسكندرية" و"انطاكية" و"فرغامس" ودمشق و"الرها" و"نصبين" و"حران" و"جنديسابور" وعشرات من المدن الأخرى الهلنستية منها وغير الهلنستية على حد سواء،وبدون أن تتخلى "القبطية" أو"الآرامية" أو"الفارسية" عن دورها كلغات قومية فإن اليونانية الكونية أضحت هي اللغة السائدة في مجالات الفلسفة والطب والفلك والكمياء والرياضيات». (طرابيشي جورج، 1996، ص 123)

كما يرى "طرابيشي" أن المركزية الاثنية* الغربية لا تمارس التغريب في نهاية المطاف إلا بمعنى واحد فقط وهو إزاحة العقل اليوناني غربا، أما "ناقد العقل العربي"فيمارس التغريب بكلا معنييه، فهويقيم–حسبه– من جهة أولى علاقة تطابق ووحدة هوية بين العقل اليوناني والعقل العربي، ويؤسس من الجهة الثانية ما بين العقل اليوناني والعقل العربي علاقة تباين تصل إلى حدود الضدية، وفي هذا يقول:«والحال أنه إذ يعتمد هذه الضدية مع العقل اليوناني نقطة انطلاق لفهم العقل العربي يكون قد قطع على نفسه السبيل إلى فهم العقلين معا، وإلى فهم الاستمراية الحضارية التي تؤسسهما معا».(طرابيشي جورج، 1996، ص 147)

"فطرابيشي" يرى أن عصر التدوين الذي صنع العقل العربي يكرر إلى حد بعيد، وإن في شروط إبستيمولوجية مختلفة (عصر التدوين الهلنستي الذي صنع العقل اليوناني) وبالتالي فهو يخلص بقوله إلى أن « العقل العربي تجمعه والعقل اليوناني رابطة شراكة، وهذا ليس فقط في لحظة التدوين اللاحقة بل ابتداء من البداية، منذ لحظة التكوين الأولى في رحم الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط». (طرابيشي جورج 1996، ص 148)

3–2–4: تحديد الجابري للإطار المرجعي للعقل العربي

يضع "جورج طرابيشي" تعبير (عصر التدوين) بين قوسين، ويكتفي بتعليق سريع وعرضي إلى عدم اعترافه بشرعية هذا التعبير«إننا –يقول ناقد النقد– عندمانضع (عصر التدوين) بين قوسين فما ذلك إلا على سبيل التلميح إلى أننا لا نعترف بشرعية هذا التعبير: فهويسمى سلفا العصر بما يريد أن يوحي به في

نوع من المصادرة على المطلوب، وبمعنى آخر تعبير غير بريء ولامحايد إبيستمولوجيا». (طرابيشي جورج:1998، ص 13) كون تعبير عصر التدوين يختزل في نص "الجابري" إلى (التبويب) لما هوجاهز في حين أن العملية –حسب طرابيشي– قد انطوت على«إنتاج وبناء وتنظيم للثقافة العربية الإسلامية فما من شيء كان جاهزا، بل كل شيء يرسم الاختراع والتأسيس والتثبيت ثم التقعيد والتقنين [...] وقد تمثلت في الانتقال بالثقافة من طور (شفاهي) إلى طور (كتابي)، مما يتطلب تجاوز الذاكرة والتبويب إلى الإنتاج وإعادة الإنتاج الثقافي». (طرابيشي جورج:1998ص 14) ويكتفي "طرابيشي" هنا بهذه الملاحظات السريعة رغم أهميتها « لينتقل مباشرة لتناول المسكوت عنه في نصوص "الجابري"بداية بسكوت "الجابري" عن المصدر الذي أخذ منه الفكرة والتسمية وهوكتاب (ضحى الإسلام) "لأحمد أمين" الصادر سنة (1934)، ومن ثم يسكت "الجابري" عن المصدر الذي استقى منه نص السيوطي، وليس كتاب "أحمد أمين" فقط الذي لم يكن مع ذلك الوحيد في الأزمنة الحديثة الذي تنبه لأهمية نص "السيوطي"، بل وكتاب "شاكر مصطفى" في (التاريخ العربي والمؤرخون) الذي يعرفه الجابري ويستشهد به تكراراً ليدخل الأستاذ "طرابيشي" في محاجة تحقيقية طويلة حول حقيقة اطلاع "الجابري" فعلاً على كتاب (تاريخ الخلفاء) "للسيوطي"».(عيد عبد الرزاق: http://www.rabitat-alwaha.net 2007)

ولعل المسألة المركزية التي أراد "ناقد النقد" أن يبرهن عليها؛ هي التأكيد على الزمن المبكر لعصر التدوين الذي يعود إلى النصف الثاني من القرن الأول للهجرة، خلافا لتحديد "الجابري" الذي يتأخر به حتى منتصف القرن الثاني للهجرة،وأن التدوين الأول المبكر هوالنموذج الأول لكل تدوين لاحق والذي هوتدوين القرآن»[1]لكن ناقد العقل العربي– على حد تعبيرطرابيشي–« يقفز تماما فوق الواقعة القرآنية ليجعل من منتصف القرن الثاني إطارا مرجعيا يتيما للعقل الذي يتصدى لنقده [...] ليجعل من تدوين الحديث هوالبداية المطلقة لعصر التدوين[...] وهو بقفزه فوق الواقعة القرآنية، قد فوت على نفسه وعلى قرائه فرصة ثمينة لنقد فعلي للعقل العربي المكوَّن (بفتح الواو)». (طرابيشي جورج:1998ص 59)

وقد نتج عن تأخير "الجابري" لعصر التدوين «سكوته عن كتب واقعة المصحفة (جمع النسخ المتناثرة للقرآن في مصحف واحد تليها أطوار التنقيط والتنوين والتقسيم والتحزيب) وعن كتب القراءات والتفسير ومختلف الدراسات اللغوية المتعلقة بالقرآن، وكلها ابتدأت في القرن الأول للهجرة ويعتبر "طرابيشي" أن هذا التأخير عملية تضليل استراتيجية هدفها إزاحة القرآن لصالح الحديث وتغليب الإسلام المكي على الإسلام المدني، وتحويل الإسلام من "ديانة روحانية إلى شريعة، ومن حضارة كتاب إلى حضارة فقه». (اليعقابي محمد: http://www.matarmatar.net 2008) وفي سياق هذا المأزق التاريخي المستجد فإن تصدي "الجابري" لنقد العقل العربي –حسب ناقده طرابيشي– لم يتمخض رغم ضخامة العنوان، إلا عن مشروع مجهض.

3-2-5 موقف الجابري من اللغة العربية

يرد طرابيشي على نظرة "الجابري" للغة العربية والتي تطرح إشكاليتين حابستين –حسبه– «الأولى تتمثل في كون اللغة العربية هي من أول مكونات العقل العربي، وبتعبير آخر: العربية سلطة مرجعية لا شعورية ولكن قاهرة، للعقل العربي؛ "والأعرابي صانع العالم العربي" أي أن اللغة العربية لغة عالم بدوي كون "الجابري" يرى أن العربي "حيوان فصيح"؛ فبالفصاحة وليس بمجرد العقل تتحدد ماهيته، وهو بذلك يستعيد الضدية المزعومة بين العقل العربي واليوناني».(طرابيشي جورج:1998ص 71-72) ولهذا يحتج "طرابيشي" على قول "الجابري": فالعربي (حيوان فصيح) حيث يرى أن المسكوت عنه في هذه الصياغة هوتعريف أرسطو(الإنسان حيوان عاقل) حيث يقول: «وبالفعل فإن المسكوت عنه في النص ولكن الحاضر فيه بقوة هوالتعريف الأرسطي للإنسان بأنه حيوان عاقل، وبالمضاربة التبخيسية هنا على الإنسان العربي بوصفه محض حيوان فصيح بالمقابل مع الإنسان اليوناني الذي لا تعريف له إلا بمجرد العقل لا تحتاج إلى بيان، ولكن عيبها الذي يبطلها على أساسها أنها لا تفلح في إتيان مفعولها نفسيا إلا بقدر ما تقوم على مغالطة منطقية ».(طرابيشي جورج:1998ص 72)

ثم يرد "طرابيشي" على ما يزعم "الجابري" أنه خصوصية عربية مبينا أن «علاقة اليوناني أوالهندي بلغته لا تختلف عن علاقة العربي بلغته، وأن جدلية "العرب والعجم" كان عندها طابعا أقل حدة في

الثقافة العربية الإسلامية مقارنة بكثير من الثقافات الأخرى ويعطي أمثلة لمفكرين مسلمين رجحوا كفة العجم على العرب في مجال الثقافة، وهم "الجاحظ" (الذي ساوى بين الإثنين، "وصاعد الأندلسي""وابن خلدون" اللذان يمثلان "المركزية الإثنية السالبة" التي فضلت الأعجميين». (اليعقابي محمد: http://www.matarmatar.net 2008) بعد ذلك ينتقل"طرابيشي" إلى تدقيق مراجع "الجابري" في فلسفة اللغة ليكتشف أنه لم يرجع إلى المصادر الأصلية، بل –حسبه– « إلى خلاصات طلابية ما جعله يخطئ في الدلالات التي يستنتجها وتأسيسا على ذلك يبدأ بالتشكيك بمرجعية "الجابري" على مستوى درجة التمثيل، بل على مستوى التوثيق للشاهد، حيث يشكك في أن كان "الجابري" رجع فعلا إلى كتاب اللغة والمعرفة "لآدم شاف" وذلك لأن الجابري –حسب طرابيشي– يقوِّل "آدم شاف" ما لم يقله كقول: أن اللغة التي تحدد قدرتنا على الكلام هي نفسها التي تحدد قدرتنا على التفكير، وهوما لا يمكن منهجيا ومعرفيا أن يقوله كمفكر ماركسي». (عيد عبد الرزاق: http://www.rabitat-alwaha.net 2007)

كما يبرهن "طرابيشي" على أن "الجابري" لم يعرف "هردر" إلا عن طريق "شاف"« وأن القول بأنه ليس للإنسان من عالم سوى العالم الذي تقدمه له لغته، فهوقول "فختوي (فختة) وليس "هردريا"، وفي كل الأحوال فمن الممتنع منطقيا أن يكون "الجابري" نصيرا لدعوى تبعية العقل للغته الخاصة ثم يمارس نقده للعقل العربي باسم العقل الكوني ».(طرابيشي جورج:1998ص 124)

ومن جهة أخرى كذلك يعتبر "طرابيشي"«بأن التهم التي يكيلها "الجابري" للغة العربية من خلال قوله بلا تاريخية اللغة العربية وطبيعتها الحسية،هي نفسها التي كالها ممثل المركزية الاثنية المستشرق"أرنست رينان" لها بصفتها ممثلة للعرق السامي الذي يتميز بالوحدة والبساطة. وبالتالي فهو– أي طرابيشي – يقيم أطروحته النقيضة "للجابري" على حجج منها أن اللغة العربيةكبقية لغات العالم تحدد العقل والثقافة وتتحدد بهما، لذا فإن تخلفهما ليس من مسؤولية اللغة بينما يصح العكس».(اليعقابي محمد: http://www.matarmatar.net 2008) فاللغة –حسب طرابيشي– لم تتكون إلا في محيط مشترك غط بالجملة عموم شبه الجزيرة العربية وهي لم تكن في أي طور من أطوارها التاريخيةلغة بدوية

خالصة، بل حملت تأثيرا مزدوجا بين البدووالحضر، كما أنها تميزت بجمعها بين البلغاء والشعراء ودقة المصطلح الفلسفي يقول طرابيشي: «ولوصح أن اللغة العربية لم تؤخذ إلا عن طي وتميم وأسد لكانت اللغة العربية بذلك لغات قبائل ولهجات قبائل، ولما كانت هي تلك اللغة المشتركة التي نظم بها الجاهليون أشعارهم المخاطبة لجماع قبائل العرب لا لقبيلة بعينها، والتي هي عينها اللغة العربية التي نزل بها القرآن الذي كان بدوره خطابا إلى كل العرب، مفهوما من قبل كل العرب».(طرابيشي جورج:1998ص 77) فتاريخ اللغة العربية –حسب طرابيشي– يفند اتهامات "الجابري" لها بكونها حسية لا تاريخية، في حين أن هذا الوصف لا يمكن أن يطلق إلا على لغات بعض الشعوب البدائية المعزولة، وليس على لغة مثل العربية.

3-2-6 موقف طرابيشي من قطيعة الجابري الإبستيمولوجية

يبدأ "جورج طرابيشي" بالرد على مزاعم "الجابري" من خلال النبش في موضوع ما يدعى بالفلسفة المشرقية قائلا: « فمن جهة أولى، سنعمل على إعادة بناء الملف العقلاني للفلسفة المشرقية بما يبطل تورط "ابن سينا" في جريمة قتل العقل والمنطق في الوعي العربي، وسنعمل من الجهة الثانية على إثبات عدم وقوع الجريمة أصلا، اعتقادا منا[...] أن الفلسفة المشرقية أسطورة خرافة، أوفي أدنى الأحوال صرعة استشراقيه وبدون أن ننفي أن للفلسفة المشرقية الموهومة جذورا تاريخية[...] فإننا نعتقد اعتقادا راسخا أن المستشرقين، أوغالبية منهم على الأقل هم الذين استنبتوا من تلك الجذور شجرة، وهم الذين استزرعوا من الشجرة غابة». (طرابيشي جورج: 2002 ص)14) هذا وتدحض الآلية النقدية "لجورج طرابيشي" الشرخ الذي أحدثه الجابري بين المغرب والمشرق وادعاءه وحدة المشروع الثقافي المغربي الأندلسي الذي يصدر عن وحدة المنهج والرؤية «فلئن كانت هناك وحدة حقا –يقول الناقد جورج طرابيشي– فكيف يفسر النقد الذي توجه به "ابن طفيل""لابن باجة" رؤيته ومنهجه بالذات؟». (طرابيشي جورج:2002 ،ص 311)

وعكس ما يزعم "الجابري" بأن ابن مضاء أراد مثله مثل "ابن حزم" و"ابن رشد" و"الشاطبي" و"ابن خلدون"، إعادة تأسيس البيان على البرهان « فالواقع هو– يقول ناقد النقد– أن غايته هي إعلان السؤدد المطلق للبيان، واكتفائه بذاته باعتباره برهان ذاته دونما حاجة إلى تدخل مخارج له ولوفي شكل المنطق

النحوي فنعم للنحو، ولكن لا لمنطق النحو، نعم للرفع والنصب والجر والجزم، ولكن لا لعلل الرفع والنصب والجر والجزم، فالنحوعلم وصفي لا سببي ». (طرابيشي جورج: 2002، ص311)

ثم إن وصف "محمد عابد الجابري" لمشروع "الشاطبي" بأنه استمرار لجهود "ابن حزم" و"ابن رشد" أبعد ما يكون عن المعقولية عند "طرابيشي" حيث تجده يقول:« ولئن يكن ابن حزم يحتل في المنظومة الفكرية الشاطبية موقع المنقود، فإن "ابن رشد" لا يحتل إلا موقع المرفوض؛ المرفوض تثليثا: شخصا ومذهبا ومنهجا" .فشخصيا لا يحضر "ابن رشد" في النصوص التي وصلتنا من "الشاطبي" إلا لمرة واحدة يتيمة وذلك في سياق انتقاده لمن يقحمون على القرآن علوما مضافة يزعمون أنها ضرورية لفهم كتاب الله"[...] "ومذهبيا، لا يحضر "ابن رشد" إلا بالرفض القاطع المطلق، فمذهب حكيم الفلسفةوالفلسفة عند "الشاطبي" مرفوض [...] "وأخيرا منهجيا أوأداتيا، فالشاطبي خلافا لمرفوضه "ابن رشد" ولمنقوده "ابن حزم"، وخلافا حتى "للغزالي" الذي كان شيخه الأول كما سنرى يتأبى عن تبني المنطق الأرسطي ولو كمجرد أداة ».(طرابيشي جورج: 2002، ص 330-331) فلا سواء القول بالظاهرية والقول بالمقاصد وشتان بين "ابن رشد" و"الشاطبي"، هذا ما يقرره خطاب الناقد وهويشحذ الأدلة الكثيرة ويرتكز على قراءة النصوص من داخلها."فالشاطبي" عنده لم يكن يوما حاملا لمشروع إبداعي وتجديدي بقدر ما كان « اعتصامي مسكونا بهاجس اندثار الزمان والمكان».(طرابيشي جورج: 2002، ص 359) ومع النقد "الطرابيشي" ما عاد "ابن سينا"عرفانيا ولا "ابن طفيل" برهانيا، ولا "ابن مضاء" معاديا للنحومن حيث هومشرقي إلا إذا كانت الإبستيمي تتجوهر بالإقليم، وإلا إذا كان الفضاء العقلي الذي يعيّنها يتعين هونفسه بالجغرافيا لا بالتاريخ». (طرابيشي جورج: 2002، ص 343)

خاتمـــة

من خلال ما تم عرضه في هذا الفصل حول دوافع نقد "جورج طرابيشي" لمشروع "عابد الجابري" يمكن أن نخلص إلى :

أنّ رحلة التأثير والانبهار "بالجابري" انتهت سريعاً وقادت "طرابيشي" إلى اكتشاف محدودية إبستيمولوجية "الجابري" وترسباتها الإيديولوجية، وطبيعة إشكاليتها التي تفتح النقاش من جهة، لكنها تعيد تعليبه من جهة أخرى في عدد من المقولات أو الثنائيات؛ شرق/غرب، مشرق/مغرب أو (الثلاثيات) كالقول (بالعقل العرفاني) و(العقل البرهاني) و(العقل البياني).

أنّ (ناقد النقد) قد اتهم "الجابري" بأنه يقوم بعملية هجاء واحتقار للعقل العربي، في مقابل العقلين اليوناني والأوروبي الذين كال لهما المديح الكامل، وبأنه مارس إمبريالية في إقصائه لفكر الحضارات الأخرى ودمغه الفكر الآسيوي القديم بأنه فكر قائم على الخرافة الأسطورة والشعوذة، كونه يستبطن نظرية "هيجل" ويعيد تسويقها بصياغة أخرى أكثرحدية وإمبريالية عن إمبريالية "هيجل" نفسه.

كما أن تحليل "الجابري" للعقل على أساس تشطيره وتجزئته لا على أساس بناء وحدته، قد قاد إلى نوع من المقارنة بين العقول الثلاثة التفاضلية لا التكافؤية، إذ تبدت هذه العلاقة عن حرب أهلية دائمة يتخذ لنفسه منها موقفا لطرف دون طرف آخر.كونه انتصر إبستمولوجيا للعقل البرهاني على العقل البياني بقدر ما انتصر للعقل البياني على العقل العرفاني، وانتصر إيديولوجيا للعقل السني على العقل الشيعي، وانتصر جغرافيا لعقل المغرب على عقل – أوبالأحرى "لا عقل"–المشرق.

كما نفى "جورج طرابيشي" أن تكون إستقالة العقل في الإسلام قد تمت نتيجة غزوخارجي، معتمدا في ذلك تفسير التحليل التاريخي لأصل تلك الأحكام المؤامراتية – بحسبه– والتي تعيد تراجع العقل في الإسلام وهزيمته إلى قوى خارجية، معتقدا أن محنة العقل في الأساس مأساة داخلية محكومة بآليات ذاتية يتحمل فيها العقل العربي الإسلامي مسؤولية استقالة نفسه بنفسه.

ومجمل قول طرابيشي؛ أن تصدي "الجابري" لنقد العقل العربي لم يتمخض – رغم ضخامة العنوان – إلا عن مشروع مجهض، لأن تحقيبه المغلوط لعصر التدوين، وعدم استيعابه للإشكالية اللالاندية عن جدلية

العقل المكوِّن (الفاعل) والعقل المكوَّن (السائد)،وتقسيمه "البنيوي" لأنظمة المعرفة إلى "بيان وعرفان وبرهان"، قد جعله يخطئ الهدف، ويخوض معركته الفاصلة ضد أبرز ممثلي العقل المكوِّن(الفاعل) في الحضارة الإسلامية من أمثال: جابر بن حيان والرازي في العلم، والفارابي وابن سينا في الفلسفة، وأهل القياس في اللغة والفقه، وأهل الاستنباط في التصوف، منتصرا في الوقت نفسه لبعض ممثلي العقل المكوّنمن أمثال ابن حزم وابن رشد وابن تومرت وغيرهم.

وما يمكن قوله في النهاية، هو أن مشروع "نقد نقد العقل العربي" لصاحبه جورج طرابيشي يعد من أهم ثلاث موسوعات فكرية تناولت التراث العربي الإسلامي في القرن العشرين، إلى جانب موسوعة المصري "أحمد أمين" وموسوعة المغربي محمد عابد الجابري في "نقد العقل العربي"، لكن ومن وجهة نظر موضوعية أكان من الضروري أن يصرف طرابيشي كل هذا الوقت – أي حوالي ربع قرن– وكل هذا الجهد — أي حوالي أربع مجلدات– في قراءة ومناقشة مشروع الجابري؟ أوَ ليس الأجدر به – بدل الاشتغال بنقد النقد– أن يؤسس مشروعا فكريا نهضويا خاصا به، عله يجيب على عديد التساؤلات التي أرقت بال الأمة، وهو الذي لم يقدم بديلا يتجاوز به ما جاء به منقوده الجابري؟أم أنه سيكون في القادم من الأيام شأن كبير لمشروع (نقد النقد) في نهضة واستقامة واقع الأمة العربية الإسلامية لتصحيح مسارها ؟

5. قائمة المراجع

1– الكتب

- طرابيشي جورج:**نظرية العقل "نقد نقد العقل العربي 1"**، ط1، دار الساقي، بيروت (لبنان)، 1996

– طرابيشي جورج:**إشكاليات العقل العربي "نقد نقد العقل العربي 2"**،ط1، دار الساقي، بيروت (لنان) 1998

– طرابيشي جورج، **وحدة العقل العربي الإسلامي**، ط1، دار الساقي، بيروت (لبنان)، 2002.

– محمود اسماعيل: **قراءات نقدية في الفكر العربي المعاصر**، ط1، مصر العربية للنشر و التوزيع القاهرة (مصر)، 1998-

– يحيى محمد: **نقد العقل العربي في الميزان**، د ط، إفريقيا الشرق، المغرب، 2009-

2– المجلات والدوريات

- طرابية أسعد، رضوان مروان: **جورج طرابيشي المبدع والمفكر والمترجم**، مجلة المعرفة،(ثقافية شهرية)، وزارة الثاقافة ، سوريا، العدد597،حزيران 2013

– صحراوي فضيلة، زنزولة مليكة: **موقف جورج طرابيشي من المشروع الفكري لمحمد عابد الجابري** (مذكرة تخرج لنيل شهادة التعليم الثانوي تخصص فلسفة – المدرسة العليا للأساتذة بالأغواط، شعبة الفلسفة، غير منشورة)، الجزائر، 2016/2015.

3– الموقع الإلكتروني

– طرابيشي جورج: **أحلامنا الثورية والتقدمية فشلت**، حاوره ابراهيم العريس، جريدة الحياة ، يناير 2006 http://www.arabphilosophers.com - اليوم: 20/03/2018–سا/ 21:41

– طرابيشي جورج: **بسبب اسمي فشلت أن أكون مناضلاً عربيا**، فكر حر،حوار مع طلال عبد الله الخوري https://mufakerhur.org اليوم:-2018/03/17- سا/15:28

– طرابيشي جورج: **الجابري خانني قبل أن يخون مصادره... ولست متفائلاً من مرحلة ما بعد الربيع العربي**" حوار مع عاصم الشيدي https://www.sudaress.com– اليوم: 22/03/2018 سا/18:52

– طرابيشي جورج: **ست محطات في حياتي "آخر مقال كتبه طرابيشي"**،العربية ، نقلا صحيفة الأثير الإلكترونية http://www.alhadath.net اليوم:/2018/18/03/ -سا/14:32

- طرابيشي جورج: **العقل لا يكون عقلا إلا إذا كان نقديا**، حوار مع حسن سلمان http://www.maaber.org 2018 /02/28

- حسن علي عمار: **عن جورج طرابيشي** ، العربية https://www.alarabiya.net اليوم:2018/03/22 – سا/ 18:59

-رجاء بن سلامة:**الموت يغيّب جورج طرابيشي " القومي والثوري والوجودي والماركس"** ،"الوكالة الوطنية للإعلام https://www.annahar.com-اليوم:2018/03/20 –سا/ 21:49

- شحيد جمال: **جورج طرابيشي بين الترجمة والنقد والدراسات الإسلامية**

https://www.alaraby.com اليوم: 2018/03/21 – سا/ 20:54

- سمير أبو زيد:**جورج طرابيشي ، فلاسفة العرب**، http://www.arabphilosophers.com اليوم: 2018/11/15 - سا 19:23

- عيد عبد الرزاق: **نقد نقد العقل العربي (قضية للنقاش)**، الحوار المعرفي http://www.rabitat-alwaha.net اليوم 12 /02 / 2018

- اليعقابي محمد: **بين الجابري و طرابيشي**، منتدى مطر بيت المبدع العربيhttp://www.matarmatar.net 2018/12/09